مجلة الرائد

العدد : ٢١٦ الموافق في شوال ١٤٢٠ هجري ٢ / ٢٠٠٠ ميلادي

عنوان المقال : أوقفوا الهزيمة النفسية !	بقلم : صلاح الدين بن إبراهيم

هللت وسائل الإعلام العالمية والمحلية لانطلاق المفاوضات بين الحكومة السورية وبين دولة الاغتصاب اليهودية ، وأبرزت هذه الوسائل تفاؤلاً مشوباً بالحذر فيما يتعلق بنتائج هذه المباحثات التي ترعاها أمريكا ، ويتدخل الرئيس الأمريكي نفسه في مفاصلها ..

والتفاؤل مصدره : المراهنة العربية على نجاح باراك في الانتخابات ، و « الغزل الكلامي » بينه وبين الرئيس السوري ، والإعلان عن بدء المفاوضات من حيث توقفت قبل اغتيال رابين .. والتي توقع كثيرون أن " عهدة رابين " تتضمن تعهداً بالانسحاب من الجولان إلى حدود الرابع من حزيران - يونيو ١٩٦٧م ..

أما الحذر فيبعث عليه : طبيعة اليهود في التأويلات والتنصل من العهود ، والتركيبة الائتلافية لحكومة دولة الاغتصاب ، والمصالح الكبرى (المياه ، ترتيبات الأمن ، ...) في المنطقة ..

وذهب " المفاوض السوري " إلى أمريكا يحدوه الأمل في التوصل إلى نتائج تضفي على الحكومة السورية صفات « الصلابة في المواقف » و « الحنكة في التفاوض » و « استرجاع الأرض السورية كاملة غير منقوصة » ، وهذه المعاني كانت تدندن حولها الحكومة السورية خلال السنوات الماضية ، وهي التي منحتها نوعاً من التعاطف الشعبي .. حتى من عامة الذين يرفضون مسيرة الاستسلام الذي يسمونه زوراً « السلام » !!

واجتمع وفدا التفاوض في مكان هادىء رائع .. ليساعد الطرفين في التوصل إلى نتائج باهرة !! .. وبذلت الحكومة الأمريكية قصارى جهدها في التوفيق بين المواقف ، واستغرقت المفاوضات وقتاً طويلاً من غير التوصل إلى شيء يحفظ ماء وجه الحكومة السورية ، فأعلنوا عن إنهاء هذه الجولة من المباحثات على أن تعقبها جولة أخرى في وقت قريب .. وقبيل الموعد المضروب أعلنت أمريكا عن تأجيل موعد اللقاء ، وصرحت الحكومة السورية بأن المشكلة الكبرى التي لا بد من حلها قبل استئناف المفاوضات تتعلق بتعهد واضح بالانسحاب من الأراضي التي احتلتها دولة الاغتصاب من سورية عام ١٩٦٧م ، وأن هذا الشرط غير قابل للنقاش . ردت حكومة باراك باستحالة التوقيع على هذا الطلب ، لأن الأراضي السورية وفقاً للمخططات الفرنسية البريطانية التي قسمت بلاد الشام عام ١٩٢٣م أقل من خطوط الهدنة لعام ١٩٤٨م ، وطرحت دولة الاغتصاب شعاراً يحكم المفاوضات ويقول : « عمق

الانسحاب يساوي عمق السلام » وهذا الأساس الذي تعتمده حكومات دولة الاغتصاب لم يتغير منذ مؤتمر مدريد وإلى يومنا هذا .

فما الذي يتوقعه العرب من هذه المفاوضات ؟

لا يخفى أن العرب عربان : عرب الأنظمة وعرب الشعوب ؛ أما عرب الأنظمة فإنهم - ولأسباب تتعلق بطبيعة الأنظمة ، وعلاقتها مع الشعوب ، ومصالحها في شروط العالم اليوم - قد أعلنوا في كل محفل أن « السلام خيار استراتيجي » وأن قصارى ما يتطلعون إليه ينحصر في أمرين :

١- إعادة الأراضي التي احتلتها دولة الاغتصاب عام ١٩٦٧م .

٢- حل مشكلة الفلسطينيين .

ويعلم هؤلاء أن ما يطلبونه له **ثمن وشرط** :

أما **ثمنه** .. فيتمثل في « التطبيع » بمقتضياته الثقافية ، والسياسية ، والأمنية ، والاقتصادية .. الخ . والجدير بالذكر أن المفاوض السوري قد أبدى تحسسه من مصطلح « التطبيع » وطالب باستخدام « لجنة علاقات السلم الطبيعية » بدلاً من اسم « لجنة التطبيع » !! . وهذا الثمن الباهظ يعني : إعلان الهزيمة النفسية بعد إعلان عرب الأنظمة عن هزيمتهم العسكرية .

وأما **الشرط** .. فينص على « السيادة المشروطة » على الأرض التي تقرر دولة الاغتصاب إعادتها إلى العرب (شروط أمنية ، الثروات الطبيعية ، ..) .

ولكن عرب الشعوب .. الذين يدركون أن ظروف القهر والاستبداد المفروضة عليهم تسلبهم حق التفكير والتقرير .. فإنهم آثروا إظهار عدم المبالاة بما يجري ، وفي أعماقهم أن هذه الاتفاقيات تلزم الحكام لا الشعوب ، وأن الحق المضيَّع اليوم سيعود إلى أصحابه .. مهما طال ليل القهر المحلي والعالمي .

والجدير بالذكر أن الفراعنة الدوليين والمحليين لا يجهلون واقع الشعوب .. ولذلك فإنهم يبذلون جهوداً مضينة في تغيير المضمون المعرفي للإنسان .. لعلهم يتمكنون من السيطرة على مواقفه الفكرية والنفسية .. فهل يستطيعون ؟ .

إن المسلمين يرفضون تضييع ذرة من فلسطين ، ويرفضون شعارات الاستسلام ومفاوضات الهزيمة ، وهذا الذي يدفعنا إلى مناشدة الحكام بأن يعيدوا النظر في علاقتهم مع الشعوب .. فإن في ذلك النجاة لهم ولأمتهم .. فإن آثروا الاستمرار فيما هم عليه اليوم .. فليعلموا أن قلوب شعوبهم ستبقى مقفلة ، وأن التاريخ سيذكرهم في قائمة الطاعنين في كرامة الأمة .